سيكولوجية الشغب لدى الجماعات

بن علي رميل (طالب دكتوراه)
أ.د إبراهيم ماحي
جامعة محمد بن أحمد وهران 2 (الجزائر)

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى دراسة ظاهرة الشغب لدى الجماعات باعتبارها من أبرز مظاهر سيكولوجية الحشد التي تهم علماء النفس الاجتماعي، ولتحقيق ذلك سنستخدم المنهج الوثائقي مستفيدين من الأدبيات والدراسات النفسية والاجتماعية في هذا المجال، حيث سنتطرق إلى تعريف الشغب وماهيته، أسبابه وعوامله،التجمعات البشرية وسيكولوجية جماهير الشغب، المجموعات والحشود المرتقب منها حدوث الشغب واتجاهاتهم النفسية،المراحل التي يمر بها، أنواع الشغب الأكثر حدوثاً، الآثار التي يخلفها على المستوى الأمني والسياسي والاقتصادي والاجتماعي، وأساليب الوقاية وطرق العلاج.

الكلمات المفتاحية : الشغب، العنف، التجمهر، المظاهرات، الجماهير، المشاغبون.

Abstract:

The purpose of the present research is to study the phenomenon of community riots as one of the most prominent aspects of the crowd psychology which has been at the crux of many social psychologists. To achieve this aim, we use the documentary approach to benefit from the literatures and the psychological studies in this domain. Along with this, we try to define the term riot and its notion, its causes and factors, human gatherings and the psychology of rioters, groups and crowds which are expected to occur, and then may cause some form of riots, and their psychological trends, the stages that it goes through, the most frequent riots, the effects that it leaves on security, political, economic and social levels. At last, we would like to suggest some remedial proposals that would scaffold for a better prevention.

Keywords : Riots, violence, mob, manifestations, masses, Hooligans.

تمهيد

ظاهرة التجمهر وما يترتب عنها من عنف جماعي وشغب هي ظاهرة عامة، لا تقتصر على دولة أو مجتمع معين، ولا على زمان محدد، بل هي مشكلة عالمية؛ فلقد تحدثت الكثير من الأدبيات والدراسات الغربية والعربية عن هته الظاهرة والتي تفشت في أغلب المجتمعات، ولدى مختلف الشعوب والأمم ومعظم الدول غنيها وفقيرها، وعبر مختلف الأزمنة والعصور. فتناول العديد من الباحثين هذه المشكلة وقاموا بدراستها من خلال التطرق إلى ماهيتها، دوافعها وأسبابها، مظاهرها، أنواعها، مراحلها، آثارها وطرق السيطرة عليها، فاتبع كل باحث في ذلك طريقًا خاصًا به سواءً من حيث نوع تخصصه أو استنادًا إلى مدرسته الفكرية التي ينتمي إليها، أو المنهج المطبق في الدراسة، أو أدوات ووسائل جمع البيانات؛ وكان من المفيد لنا الرجوع إلى هذه الدراسات لأن ذلك يعتبر أحد القواعد الأساسية المهمة في الدراسة العلمية، فلا شك أن الهدف من مراجعتنا للدراسات السابقة هو الحصول على رؤية واضحة عن التراكم المعرفي في مجال الدراسة، هذه الرؤية نستطيع من خلالها أن نرى ما قدمته تلك الدراسات في هذا المجال ومن ثم تصميم بحثنا هذا ليكون إضافة علمية جديدة لهذا التراكم المعرفي والتراث العلمي، ونأمل أن تساهم دراستنا الحالية إلى جانب غيرها من الدراسات الأخرى من خلال النتائج التي سنتوصل إليها في الوصول إلى مؤشرات تساعد في تقديم الوسائل الوقائية والعلاجية لظاهرة الشغب أو الحد منها إلى درجة معينة.

1. مفهوم الشغب

أ. المفهوم اللغوي: يعرف الشَّغْبُ حسب لسان العرب بأنه تهيج الشر والفتنة والخصام، وذلك بسكون الغين، والعامة تفتحها. ومن يفعل ذلك يسمى شَغَّابٌ ومُشَغِّبٌ، ورجلٌ شَغِبٌ ومِشْغَبٌ، ومُشاغِبٌ، وذو مَشاغِبَ (ابن منظور، د.ت، ص2283).

ب. المفهوم الاجتماعي:وفي موسوعة علم النفس والتحليل النفسي يعرف على أنه: "حالة عنف مؤقت ومفاجئ تعتري بعض الجماعات أو التجمعات أو فردًا واحدًا أحيانًا وتمثل إخلالًا بالأمن وخروجًا على النظام وتحديًا للسلطة أو لمندوبيها على نحو ما يحدث من تحول مظاهرة سلمية أو إضراب منظم تصرح به السلطة إلى هياج عنف يؤدي للإضرار بالأرواح والممتلكات" (في الزهراني، 2000م، ص66).

كما يعرف بأنه "مجموع النشاطات التي ترتكز على القوة العددية، أو التي تتسم بالعنف، والتي توجه إلى اختراق القوانين والأنظمة الهادفة إلى الحفاظ على النظام العام للدولة، وغالبًا ما يصاحب هذه النشاطات أعمال تخريب ودمار تلحق الضرر بالوضع الاقتصادي والسياسي والاجتماعي والهيئة السيادية للدولة" (في المالكي، 2000م، ص9).

ج. المفهوم الأمني: الشغب هو: "الصورة المادية الناتجة عن العنف الذي يلجأ إليه المتظاهرون، أو التهديد باستخدام العنف إذا كان هذا التهديد مصحوبًا بإمكانية التنفيذ الفوري" (في المطيري، 1993م، ص85).

كما يعرف الشغب بأنه: "تجمع بشري ظاهر محظور بنية القيام بأعمال مخلة بالأمن حدثت أو على وشك الحدوث لتحقيق مطالب معينة، وقد يكون لهذا التجمع قيادة تتولى التخطيط والتوجيه والإشراف" (في المالكي، 2000م، ص9).

2. أسباب الشغب الرئيسة: لاشك في أن أسباب الشغب تختلف وتتفاوت من دولة إلى أخرى، ومن منطقة إلى أخرى داخل القطر الواحد. فنجد أن في بعض المجتمعات تكون الأوضاع المعيشية المتردية هي السبب الرئيس لقيام الشغب، بينما نجد الصراع وعدم الاستقرار في السلطة هو السبب في مجتمع آخر، وفي مجتمعات أخرى يكون السبب الصراع بين الطوائف الدينية المختلفة؛ وبعد دراسات مستفيضة من قبل الباحثين في هذا المجال، نجد أنه ثمة إجماع على تصنيف الأسباب الرئيسة لحدوث الشغب وفق التصنيف التالي: عوامل سياسية، وعوامل اقتصادية، وعوامل اجتماعية، وعوامل دينية، وعوامل طبيعية.

أ. العوامل السياسية: تأتي العوامل السياسية في مقدمة الأسباب التي قد تؤدي إلى حدوث المظاهرات وأعمال الشغب، فالحياة السياسية تقوم على اتخاذ القرارات ورسم السياسات العامة، وقد لا تكون جميع القرارات موافقة لرغبات جميع الفئات الموجودة في المجتمع، ومن هنا يبدأ التوجه نحو التعبير عن رفض هذه القرارات بالاحتجاج العلني على شكل مظاهرات سرعان ما تتحول إلى أعمال شغب لأتفه الأسباب، ومن ذلك نجد أن معارضة القرارات السياسية تأتي في مقدمة الأسباب المؤدية إلى حدوث الشغب، وخاصة عند تدخل طلاب الجامعات وغيرهم من فئات المجتمع في الشؤون السياسية للدولة. وكذلك التنافس الحزبي، عندما تلجأ بعض الجماعات والأحزاب المعارضة إلى استغلال الهفوات السياسية للحكومة وشحن عواطف الجماهير ضدها، أو القيام بإثارة الاضطرابات وبث الشائعات بهدف إحراج السلطة القائمة (المالكي، 2000م، ص60).

ب. العوامل الاقتصادية: من أبرز المشكلات الاقتصادية التي تدفع إلى الشغب (في المطيري، 1993م، ص ص87-89؛ في النفيعي، 2003م، ص ص39-40) ما يلي:

1. **الفقر:** لا ريب في أن للفقر علاقة بالأمن والنظام، كما أن له أخطار على العقيدة والأخلاق والأسرة وأمن الجماعة واستقرار الأمة، إضافة إلى أخطاره على الصحة الجسمية والنفسية لأفراد المجتمع.

2. **البطالة:** إنَّ كثرة عدد العاطلين عن العمل وعدم توفر المساعدات الاجتماعية لهم يؤدي إلى ظهور خلل في البناء الاجتماعي، وقد يقوم هؤلاء العاطلون عن العمل بتكوين تجمعات تثير اضطرابات مدنية وترتكب أعمال شغب.
3. **الغلاء:** تزداد خطورة هذا الأمر إذا تعرضت السلع الأساسية والضرورية للغلاء بما قد يدفع بعض الناس وخاصة الفئات ذات الدخل المحدود إلى القيام باحتجاجات على شكل اضطرابات مدنية.
4. **سوء توزيع الدخل:** إذا كانت الغالبية من الناس محرومة وتعيش في فقرٍ متقعٍ، وفئة أخرى قليلة تعيش في ترفٍ بسبب سوء توزيع الدخل وعدم تكافؤ الفرص، فعندئذٍ سيؤدي هذا الوضع إلى الإخلال بالأمن والنظام.

ج. العوامل الاجتماعية: من الأسباب الاجتماعية التي قد تؤدي إلى أعمال الشغب الطبقية التي شاعت في بعض المجتمعات، وانفجار الصدمات نتيجة العداوة والمشاحنات بين الفئات أو الطبقات الاجتماعية المختلفة؛ فعندما يتكون سكان قطرٍ ما من عناصر عرقية أو قبائل متعددة، فإنَّ التمييز العنصري أو القبلي يخلف احتكاكات ونزاعات عنصرية يمكن أن تتطور إلى شغب ضد الحكومة، أو إلى موقف عنف من شأنه أن يهدد أمن كافة القطر أو جزءٍ منه، وقد تكون هناك أسباب خاصة ببعض الفئات؛ كالطلبة أو الموظفين أو العمال أو أصحاب مهنة معينة، تدفعهم للقيام بالاحتجاج العلني بطريقة مخلة بالأمن والنظام (سويانج وصن، 1991م، ص23؛ المالكي، 2000م، ص62).

وقد يؤدي الحرمان من الخدمات الاجتماعية ــ كالتعليم والعلاج والإسكان وغيرهاــ أو قصورها أو فقدانها أحياناًإلى خروج المتضررين للاحتجاج على السياسات المتبعة في هذه المجالات؛ وقد يؤدي الإعلام دورًا بارزًا في التحريض على الشغب بتضخيم الأخطاء وتسليط الأضواء عليها، وإبراز الزعماء المنادين للاحتجاجات والشغب على أنهم قادة وثوريون مصلحون، وبالتالي حشد العامة خلفهم دون وعي منهم. فالإعلام في كثيرٍ من الأحيان يساهم في دفع الأمور إلى مزيد من السخط والغضب الذي يُعَبِّرُ عنه بأعمال العنف والشغب (النفيعي، 2003م، ص41).

كما أن ضعف الرقابة الوالدية والتربية الأخلاقية والتوجيهات الدينية للأبناء، وعدم الاهتمام بمشكلاتهم، والتفرقة في المعاملة بينهم، وغياب السلطة الضابطة في الأسرة والمجتمع، وضعف القوانين الرادعة للخارجين عن النظام في المجتمع تعتبر من بين العوامل والأسباب الاجتماعية المؤدية إلى الشغب (منيب وسليمان، 2007م، ص13).

ويلاحظ أن الشغب يحدث عادة في الحواضر ولا يحدث إلا في حالات نادرة في الضواحي أو في التجمعات القليلة، وذلك لشعور الأفراد في تلك التجمعات بنوعٍ من التجانس والإحساس القوي بتماسك الجماعة؛ بينما يكون هناك شعور بالعزلة أو أحيانًا بعدم الانتماء في المدن أو في التجمعات الكبيرة، وبالتالي يسهل قيام بعض المجموعات بالشغب، وخاصة مجموعات الشباب التي قد تنخرط في الشغب في بعض المناسبات الاجتماعية كتشيع جنازة زعيم وطني، أو كالاحتفالات والمهرجانات الرياضية (الزهراني، 2000م، ص69).

د. العوامل الدينية: قد يحدث الشغب نتيجة التنافس والصراع بين مذاهب دينية معينة، حيث يقوم الأشخاص التابعون لكل مذهب بحشد الرأي العام لمناصرتهم. فالاضطرابات الدينية تحدث بسبب الخلاف بين المذاهب والأديان والعقائد الدينية والفتنة الطائفية كما يحصل الآن في جمهورية العراق من صراع بين المذاهب المختلفة، وخاصة المذهب السني والشيعي، وما يحصل في الهند من نزاع عقائدي ديني بين المسلمين والهندوس. ومما يساعد على إشعال نار الفتنة وحدوث أعمال الشغب انتشار الشائعات المغرضة، وتساهل وتقصير السلطات والجهات الأمنية في مواجهتها، أو انحيازها إلى طرف على حساب الطرف الآخر (الخليوي، 2008م).

ه. العوامل الطبيعية: قد تحدث المظاهرات وأعمال الشغب كنتيجة غير مباشرة للكوارث الطبيعية؛ فعند حدوث الزلازل أو الفيضانات أو الحرائق الكبيرة، أو حوادث المصانع كتسرب الغازات السامة أو الإشعاعات منها، وفي حالة تقصير السلطات المحلية أو إخفاقها في تأمين المساعدات اللازمة من إسكان وأغذية وأدوية للمنكوبين، يلجأ هؤلاء المتضررون إلى القيام بالمظاهرات وأعمال الشغب للاحتجاج على الأوضاع التي يعيشونها، وللفت نظر الرأي العام المحلي والعالمي

إلى معاناتهم، وقد يندفعون إلى أقرب منطقة لم تتضرر بالكارثة للحصول على ضروريات الحياة، وبالتالي تحدث الصدامات بينهم وبين من يدافع عن ممتلكاتهم في هذه المنطقة، وتنتشر بذلك أعمال السلب والنهب والسطو على المحلات التجارية (المالكي، 2000م، ص ص62-63).

3. سيكولوجية جماعات الشغب: يستمد الإنسان قوته من وجوده داخل الجماعة أيًا كان نوعها، ولذلك يتأثر بوجوده داخل جماعات الشغب، فيختلف سلوكه وعقليته داخل جماعات الشغب عن سلوكه وطريقة تفكيره عندما يكون بمفرده؛ ففي الحالة الثانية يتصرف بحكمة ويزن الأمور، ويبتعد عن كل ما يشوه صورته، لأنه يعلم أن أنظار المجتمع تترقبه فضلًا عن إحساسه بمساءلة القانون له عمّا يقترفه من أخطاء. ولكنه عندما ينخرط في جماعات الشغب ويتفاعل معهم يشعر بأمن وينعدم إحساسه بالمسئولية وتقل خشيته من نظرة المجتمع، ومما يساعد على ذلك استماعه لخطب القادة والمحرضين، وتأثره بما ينادون إليه من أفكار، ومع استمرار الاستماع السلبي للخطب غياب التبادل الحر للآراء، وترديد الشعارات والأناشيد الحماسية تزداد قابليته للإيحاء، ويقتنع بحجج لا يمكن أن يقبلها لو كان بمفرده خارج التجمع، وبذلك تتوقف السيطرة المعتادة لدى الفرد والتي تباشرها ملكات النقد والمراقبة داخله، لشعوره بأنه يشارك غيره من الأفراد في الأفكار والانفعالات (في المالكي، 2000م، ص70).

ومع زيادة القابلية للإيحاء تنقص المسئولية الفردية، وتظهر عقلية جديدة محركة للشغب، وهي عقلية الجماعة، أو ما يسمى بالعقل الجماعي، في حين تذوب الفوارق الطبقية والاجتماعية والثقافية ويتميز سلوك الأفراد باشتداد الانفعالات، ويكون أكثر استجابة للمثيرات والانفعالات والإيحاءات، ويصبح التفكير والتصرفات وردود الفعل لديه عن طريق العدوى (في المالكي، 2000م، ص70).

ويوضح طرابيشي (فرويد، 1921م/2006م، ص15) أنه إذا أخذنا بعين الاعتبار تضخم الثقة بالنفس لدى الجماهير واطمئنانها إلى عدم المحاسبة والمعاقبة كلما كان عدد الجمهور أكبر، فهمنا لماذا تقدر الجماهير المحتشدة على الإتيان بأعمال لا يأتيها الفرد في العادة. ففي الجمهور، وبسبب انعدام حس المسئولية وانتفاء الخوف من العقاب تكون لدى الجماهير قابلية لارتكاب أبشع الأعمال وأكثرها تطرفًا وهمجية، "...ففي الجمهور يتحرر الأبله والجاهل والحسود من الإحساس من دونيتهم وعدم كفاءتهم وعجزهم، ويصبحون مجيَّشين بقوة عنيفة وعابرة، ولكن هائلة" (لوبون، 1895/1991م، ص74).

إذن نستطيع القول أن الفرد المنضوي منذ بعض الوقت في وسط جمهور هائج سرعان ما يسقط في حالة تشبه كثيرًا حالة الانجذاب الشديد الذي يشعر به المنوَّم مغناطيسيًا تجاه منوِّمه. فهذا الفرد لا يعود واعيًا بأعماله، بمعنى أن بعض ملكاته تصبح مدمَّرة، في حين أن بعضها الآخر يستثار ويستفز إلى الحد الأقصى. وتأثير كل اقتراح يملى عليه أو كل تحريض يمثل قوة طائشة لا يمكن ردها من أجل تنفيذ بعض الأعمال كالحرق والنهب والتخريب؛ أما أفراد الجمهور الذين يمتلكون شخصية قوية جدًا تمكِّنهم من مقاومة المحرِّض هم ذوو عدد ضئيل وبالتالي فإنَّ التيار يجرفهم معه. وهذه هي مجموع الخصائص الأساسية للفرد المنخرط في الجمهور: تلاشي الشخصية الواعية، هيمنة الشخصية اللاواعية، اشتداد الانفعالات، انخفاض مستوى التفكير، زيادة القابلية للإيحاء، المسارعة إلى تصديق كل ما يقال، الإحساس بالقوة والقدرة المطلقة على فعل أي شيء، توجيه الجميع ضمن نفس الخط بواسطة التحريض والعدوى للعواطف والأفكار؛ وهكذا يصبح عبارة عن إنسان آلي ما عادت إرادته بقادرة على أن تقوده. وهو عندئذٍ يتصف بعفوية الكائنات البدائية وعنفها وضراوتها وحماستها وبطولاتها أيضًا (لوبون، 1895م/1991م)، "وهكذا يتبدى لنا الجمهور وكأنه بُعث للعشيرة البدائية، فكما أن الإنسان البدائي لا يزال على قيد الحياة في كل فرد، كذلك فإنَّ كل تجمع بشري قادر على إعادة تكوين العشيرة البدائية..." (فرويد، 1921م/2006م، ص108).

وهنا يكمن مصدر الخطورة في التظاهر، لأن المظاهرات هي عبارة عن تجمع بشري غير طبيعي يسهل تحويله إلى شغب مدمر ارتكازًا على ما يسميه علماء النفس بـــ "عقلية القطيع"، ومجمل هذه الظاهرة أن التجمعـــات البشـــرية تتصرف وفق رد الفعل الظاهر لأي فرد منها، وتأتي هذه الظاهرة نتيجة حتمية لمـــا يحدثهـــــموقف التظاهرـــــ مـــن تأثيرات في نفسية وعقلية الفرد المشترك في التظاهر. وقد يتفق من يشاهد المظاهرات بأن يلمح الكثير من هذه السمات التي أوردها لوبون. وقد أثبتت الدراسات الميدانية التي أجريت على المظاهرات من خلال الخبرات الأمريكيـــة بالـــذات كافة دراسات لوبون حتى إنَّها تأتي بالنسبة لنتائج لوبون في مرتبة التجربة من الفرض العلمي (فـــي الخليـــوي، 2008م، ص ص83-84).

4. المجموعات والحشود المرتقب حدوث الشغب منهـــا: يـــرى ســـويانج وصـــن (1991م، ص ص24-25) أن مـــن المجموعات المتوقع منها حدوث الشغب ما يلي:

1. زمرة الأقليات العنصرية التي تعاني الفقر المدقع وتعيش في منطقة معينة.

2. المجموعات العمالية التي تعمل وفق شروط عمل سيئة.

3. طلاب الجامعات المجندين من قبل العناصر الهدامة.

4. أتباع المنظمات السياسية المتطرفة.

5. مناطق العصابات.

أما الاتجاهات النفسية لدى هذه الحشود المحتمل أن تكون مصدرًا للشغب فهي:

1. كونها تتعاطف معًا في مسائل صغيرة.

2. تصدق الشائعات دون أن تتحقق من صحتها.

3. نقل الأحداث والوقائع بمبالغة.

4. اتخاذ مواقف سلبية اتجاه كل شيء.

5. مراحل الشغب: إنَّ معظم حوادث الشغب تدار من قبل أيدٍ خفية، تعمل خلف الستار علـــى التخطـــيط للقيـــام بهـــذه الأعمال، فهي تبدأ من فكرة وتنتهي إلى العمل مرورًا بعدة مراحل وخطوات والتي تتمثل في (سويانج وصـــن، 1991م، ص ص25-26):

أ. المرحلة التمهيدية أو التخطيط للقيام بالشغب: تتمثل هذه المرحلة في تهيئة بيئة الشغب والإعداد لها، حيـــث ينتهـــز مثيرو الشغب الحالة النفسية لدى الغوغاء، فيرسمون أولًا هدفًا براقًا لاستمالة الجماهير، ثم يضعون خطة تفصيلية لكسب التجمعات الجماهيرية لصالحهم، وعلى أساسها يبثون الدعاية ويعملون على إهاجة الجموع.

ب. المرحلة التحضيرية واكتمال حركة الشغب: بعد المرحلة الأولى والتي يتم فيها تحريك عواطف الجمـــاهير لصـــالح الحركة يقوم مدبرو الشغب بدعوة المزيد من المتعاطفين إلى الانضمام لهم، والتحضير للشغب من خلال إعداد الأدوات واللافتات والمنشورات وتوزيعها على المجموعات، وتحضير مكبرات الصوت، وبسرعة فائقة تتســـع دائـــرة الـــدعاة والمحركين من الداخل حتى يحين الوقت المناسب.

ج. مرحلة التنفيذ أو المناضلة العنيفة:في هذه المرحلة يخرج المشاغبون إلى الشوارع محاولين إحداث التخريب وغيره من مظاهر الشغب، فيقوم مدبرو الشغب بوضع أتباعهم الذين يتسمون بالجرأة والاندفاع في تصرفاتهم في الشارع للقيام بمظاهرات غير مصرح بها، كما يقومون بإلقاء الخطب واستخدام الشعارات واللافتات واللوائح المعدة لهـــذا الغـــرض، بالإضافة إلى قيادة المجموعات إلى المكان المتفق عليه.

ومن الطبيعي أن يؤدي هذا الجو العنيف من الحشد النفسي إلى فقدان الأفراد لمشاعرهم وتوازنهم - ولو بشـــكل مؤقت - مما يجعلهم يميلون إلى التخريب والتدمير لكل شيءٍ يجدونه أمامهم؛ وعندما تزداد حدة الشغب يتصـــدى لهـــم

رجال الشرطة مستخدمين العصي والغازات المسيلة للدموع في محاولة منهم للسيطرة على الشغب، فيجابهونهم المشاغبون بالحجارة والعصي وقنابل "المولوتوف" في سبيل إدراك هدفهم. وبهذا فهم يشلون الأمن ككل في سائر المدينة أو في منطقة محدودة منها.

6. أنواع الشغب: إنَّ ظاهرة الشغب لا تقتصر على فئة معينة من المجتمع، بل تنجم عن تمرد العديد من الطوائف أو الطبقات الاجتماعية. قد يحدث الشغب لدى طلاب المدارس أو الجامعات، كما قد يحدث لدى التجمعات الرياضية، أو لدى المساجين، أو لدى بعض الطوائف العرقية أو الدينية؛ وعليه يمكن القول أن أنواع الشغب الأكثر حدوثًا تتمثل في شغب الملاعب الرياضية، وشغب طلاب المدارس والجامعات، وشغب السجون، والشغب العنصري والطائفي. وفيما يلي لمحة موجزة للتعريف بكل نوع منها:

أ. شغب الملاعب الرياضية: يعتبر الشغب الرياضي من أكثر أنواع الشغب شيوعًا وخاصة في الوقت الحاضر، فلقد تحولت الكثير من المباريات إلى مناسبات للمعارك الجماعية التي أدت إلى انتشار التعصب والعداوة بين الفرق، وحدوث الصراعات والنزاعات بين الجماعات والأمم (رميل، 2011م).

وعناصر الشغب متباينة تبدأ من جذور ورواسب وخلافات عرقية، وتمتد إلى لاعب منفلت عنيف سيء السلوك، ومدرب كثير الاعتراض، وإداري عصبي، ومنها إلى حكم غير عادل، أو جمهور غير واعي يميل إلى العنف، أو إعلامي محرض ومتحيز، وتنتهي إلى نقص في الجوانب الأمنية في الملاعب أو معالجات خاطئة لأحداث عنف بسيطة (صادق، 2002م).

ومما لاشك فيه أن هناك بعض الرياضات يكون الشغب فيها أكثر من غيرها، فالشغب في ملاعبنا الرياضية يزداد مع الرياضات والألعاب التي تحظى باهتمام جماهيري كبير ككرة القدم مثلًا أكثر من الألعاب التي لا تحظى بمثل هذا الاهتمام والإقبال.

والشيء المميز في الشغب الرياضي هو انتشاره في الكثير من الأحيان إلى خارج أسوار الملاعب، فيظهر في الشوارع ووسائل النقل (الخليوي، 2008م).

ب. شغب طلاب المدارس والجامعات: تعتبر شريحة الطلاب شريحة اجتماعية، تتميز بالطموح الثقافي والتحمس الوطني والإدراك العالي بمعرفة مصالحها ومصالح المجتمع؛ إلا أنها بحكم عمرها المتوسط وثقافتها المتواضعة تكون سريعة التفاعل مع الأحداث الاجتماعية والسياسية والدينية، فهي تحاول دائمًا تأكيد وجودها في النسيج العلائقي والجسد الاجتماعي على الرغم من قلة خبرتها في الحياة الاجتماعية والسياسية، الأمر الذي يجعل بعضًا من أفرادها مِمَّن نشأوا نشأة ناقصة أو خاطئة الإقدام على مخالفة معايير المجتمع على شكل سلوك عدواني كثيرًا ما يتطور إلى أعمال عنف وشغب.

وقد تنشأ بعض أعمال العنف البسيطة في المدارس أو الجامعات من قبيل حركات التمرد الطلابي. ولكن قد تستغل بعض القيادات هذه الحركات لمصالحها الشخصية، فتحولها إلى أعمال شغب وسطو وتخريب من خلال إثارة حماسها (منيب وسليمان، 2007م، ص27).

ومن أبرز حوادث الشغب الطلابي، ما وقع في فرنسا عام 1968م. والذي سمي بـ"ثورة الطلبة"؛ والتي طالبت بالمساهمة في الحياة السياسية. إنَّ هذه الثورة اتخذت من كتابات الفيلسوف هربرتماركيوز نبراسًا لها، ولقد امتد تأثير هذه الكتابات إلى معظم فئات الشباب، سواءً في أوربا أو أمريكا، فقامت بالتحريض على الثورة وأعمال العنف والشغب ورَفْضِ المجتمع الصناعي الغربي وثقافته المادية البحتة (مراد، 1991م، ص ص13-14؛ في الخليوي، 2008م، ص75).

ج. شغب السجون: يعد السجن كمؤسسة إصلاحية من المؤسسات الاجتماعية ذات الأهداف المعينة والمحددة، حيث يتم اللجوء إليها كوسيلة إصلاحية وتأهيلية يقضي فيها من استحقوا عقوبة السجن فترة زمنية معينة، قد تكون طويلة أو

قصيرة، وتعتبر تلك الفترة من المراحل الحرجة التي يمر بها النزيل، سواءً من حيث أثرها على سلوكه داخل السجن أو خارجه بعد قضاء فترة العقوبة (الغامدي، 2008م، ص11).

وكثيرًا ما تحدث أعمال عنف وشغب ومعارك ومشاجرات بين نزلاء الزنزانة الواحدة والزنزانات المختلفة. ويعد الازدحام داخل السجن من العوامل المؤثرة بشكل كبير في توجيه سلوكيات النزلاء، وبخاصة سلوك الشغب والتمرد والعنف، لأن التكدس والازدحام يؤديان إلى فقدان السيطرة، فتتولد إشكاليات كثيرة كالعنف والشغب والاحتجاج والإضراب عن الطعام (الدهيمان، 2009م).

د. الشغب العنصري والطائفي: إنَّ أحداث الشغب المتعلقة بعنصر الجنس البشري سواءً كان ذلك راجعًا إلى اللون أو إلى الأصول العرقية، أو إلى الانتماءات المذهبية والطائفية تعتبر أكثر أنواع الشغب عنفًا وتدميرًا مقارنة بالأنواع الأخرى السابقة الذكر. فنحن نعلم أن شغب الملاعب أو الشغب الطلابي أو الشغب في السجون كلها تتسم بالعنف والضراوة، ولكن أخطرها على الإطلاق الشغب العنصري والطائفي والذي ينشب لأسباب عنصرية أو طائفية (الخليوي، 2008م، ص77).

وفي هذا النوع لا يحدث التوتر فجأة، بل بصورة تدريجية. فتتراكم أسبابه يومًا بعد يوم مما يؤدي إلى زيادة عدم الرضا والتذمر بين فئتين مختلفتين في العرق أو الديانة أو المنهج، وقد تؤدي الاحتكاكات الصغيرة بينهما كحادث إلقاء حجارة على أحد المنازل، أو المشاجرة بين طفلين ينتميان إلى الفئتين المختلفتين، إلى قيام الجماهير بالمشاركة في إلقاء الحجارة.

والأمثلة عن هذا النوع كثيرة؛ ومن بينها ما يحدث بين المسلمين والنصارى في القطر الواحد أو الإقليم الواحد، وما كان يحدث بين السود والبيض في جميع أرجاء العالم.

7. الآثار المترتبة على الشغب: إنَّ الشغب بكافة صوره (التجمهر، التظاهر، الاعتصام، والإضراب)، وأنواعه (في الملاعب، لدى الطلاب، في السجون، والعنصري والطائفي)، يؤدي إلى أضرار عديدة تلحق بالفرد والجماعة والمجتمع ككل.

فالمجتمع الذي تسوده أعمال الشغب والعنف يتأثر سلبًا في مجالات متعددة؛ من أبرزها المجال الأمني والسياسي والاقتصادي والاجتماعي.

أ. الآثار الأمنية: إنَّ نشوء الشغب يقود المنطقة المتأثرة إلى حالة من الارتباك والفوضى الناتجة عن غياب القانون، فتزداد جرائم الاعتداء على الأشخاص كالقتل والجرح والاغتصاب، وتزداد جرائم السلب والنهب والسرقات والتخريب، مما يُشعر المواطنين بعدم الاطمئنان على أنفسهم وأموالهم، سواءً كان ذلك في منطقة الشغب أو في المناطق المجاورة (في النفيعي، 2003م، ص44).

كما أن استنفار قوات الأمن وانشغالهم بالتصدي للمظاهرات وأعمال الشغب يؤدي إلى فراغ كبير في المهام العادية، فينعكس ذلك في صورة نقص حاد في الخدمات التي تقدمها الأجهزة الأمنية في مختلف المجالات، وهو ما يمثل فرصة مناسبة لضعاف النفوس. حيث يستغلون هذه المواقف لتنفيذ جرائمهم، وبالتالي تكون حوادث الشغب سببًا في ارتفاع نسبة الجريمة، وتدني الوضع الأمني إلى درجة جد خطيرة (المالكي، 2000م، ص58).

ب. الآثار السياسية: قد تؤدي أعمال الشغب إلى فقدان المواطنين لثقتهم في الحكومة ممثلة في أجهزتها الأمنية التي أخفقت في المحافظة على الأمن والنظام، كما أن أعمال الشغب قد تؤدي إلى حروب أهلية، أو الإطاحة بحكومة شرعية عادلة، وقد يكون الشغب وسيلة ضغط على الحكومة لتبني سياسات معينة هي ليست في مصلحة البلاد والمجتمع على المدى البعيد (النفيعي، 2003م، ص45).

فمثلًا عندما تقوم الأحزاب السياسية المعارضة بمساندة الشغب أو تحاول الاستفادة من قوى الجماهير المشاغبة التي تعمل على التخريب والمقاومة، في هذه الحال يصعب على الحكومة أن تمارس عملها، ومن ثم يختفي النظام وتعم الفوضى في المجتمع (سويانج وصن، 1991م، ص22).

ج. الآثار الاقتصادية: تؤدي أحداث الشغب والمظاهرات وأعمال العنف إلى آثار اقتصادية خطيرة؛ تتمثل في انخفاض الإنتاج نظرًا لاشتراك العاملين في المظاهرات وأعمال الشغب، أو لعدم تمكنهم من الالتحاق بمراكز عملهم وممارسة نشاطهم المعتاد، وينعكس ذلك في صورة تدني في الموارد المالية للبلاد، ونقص السلع والخدمات العامة، وهو ما يقود بدوره إلى ارتفاع الأسعار بصورة عشوائية، وضعف القيمة الشرائية للعملة المتداولة، بالإضافة إلى الخسائر الاقتصادية الكبيرة الناتجة عن تدمير وتخريب المراكز الإنتاجية والبنى التحتية للدولة (المالكي، 2000م، ص58).

كما يساعد الشغب على احتكار السلع الاستهلاكية الضرورية، والمبالغة في رفع أسعارها؛ ويؤدي كذلك إلى إنفاق الدولة لجزء كبير من ميزانيتها في الإعداد والتجهيز لمكافحته، وهو الأمر الذي يؤثر على القطاعات الأخرى التي هي بحاجة إلى هذه الأموال (النفيعي، 2003م، ص45).

د. الآثار الاجتماعية: يؤدي الشغب إلى إصابة أفراد المجتمع بالذعر والخوف وعدم الاستقرار والاطمئنان في ظل غياب الأمن والنظام، كما يؤدي إلى تأثر وتدني مستوى الخدمات الاجتماعية العامة لمؤسسات الدولة؛ كالتعليم والعلاج والكهرباء والماء والهاتف والمواصلات. وفي حوادث الشغب العنيفة تكون مصالح هذه الخدمات العامة هي الأماكن الرئيسة المستهدفة (المالكي، 2000م، ص59؛ النفيعي، 2003م، ص ص45-46).

كما تسود مظاهر الفساد والانحلال وتنتشر ثقافة العنف في المجتمع، وتتكون أجيال متأثرة بمثل هذه المظاهر، خاصة إذا استمر الشغب لفترات طويلة (المطيري، 1993م، ص106).

8. الوقاية من الشغب: حين نتحدث عن الوقاية، فهذا يعني أننا إزاء مرحلة متقدمة في إستراتيجية إدارة الشغب، والمقصود بالوقاية هنا هو اتخاذ كافة التدابير اللازمة لإزالة الأسباب التي قد تؤدي إلى حدوث أعمال الشغب والعنف قبل وقوعها، أو التخفيف من حدة هذه الأسباب بقدر الإمكان.. والعناية بهذا الإجراء أمر ضروري وحيوي يجب مراعاته بمنتهى الدقة.

ويرى بعض الباحثين أن من أساليب الوقاية من أعمال الشغب والعنف ما يلي (سويانج وصن، 1991م، ص28):

1. **طريقة إزالة الأسباب:** مما يؤدي إلى الإقلال من السخط لدى الأشخاص المعنيين بالقضية.
2. **طريقة التأخير:** وذلك يقتضي إطالة زمن المباحثات والمفاوضات حتى تتلاشى مطالب المحرضين على الشغب مع مرور الوقت.
3. **طريقة التحييد:** وتعمل على تحييد المجموعة الساخطة من الداخل، بغرس عناصر معارضة في المجموعة.
4. **طريقة الاستجابة السريعة:** وتستهدف إزالة السبب الرئيس بالاستجابة لمطالب هؤلاء الأشخاص.

ونظرًا لكون أسباب قيام المظاهرات وأعمال الشغب - كما أشرنا إليها سابقًا - هي أسباب سياسية، وأخرى اقتصادية، واجتماعية، ودينية، وطبيعية وغيرها، فإنه يمكن في مجال الوقاية من الأسباب السياسية أن تكون الإجراءات التي تضعها الدولة لتشكل التنظيم السياسي ملائمة لحاجات المجتمع، وتقضي على الفوضى السياسية، وتضمن الاستقرار.

وفي مجال الوقاية من الأسباب الاقتصادية يجب على الدولة إتباع سياسات اقتصادية مدروسة، وتخطيط سليم ملائم لظروف المجتمع ومطالبه.

وفي مجال الأسباب الاجتماعية يجب أن تتخذ السلطات إجراءات مناسبة لتحسين الخدمات الاجتماعية كالتعليم والعلاج والإسكان، والاهتمام بالتربية الأخلاقية والتوجيهات الدينية السليمة، وتأمين المناسبات والمهرجانات العامة لمنع تحولها إلى أعمال عنف وشغب.

وفي مجال الأسباب الدينية يجب أن تقوم الجهات الدينية بمساندة الجهات الرسمية للقضاء على الخلافات المذهبية، والفتنة الطائفية، والحملات التي قد توجه إلى بعض الأقليات الدينية، وعدم الانحياز إلى طرف على حساب طرف آخر.

وفي مجال الأسباب الطبيعية يجب أن تضع الجهات المختصة الإجراءات اللازمة لمواجهة الآثار المترتبة على الكوارث الطبيعية، كتأمين المساعدات اللازمة من أماكن إيواء، وأغذية، وأدوية للمنكوبين، وغير ذلك مما يساعد على التخفيف من آثار هذه الكوارث، وبالتالي امتصاص غضب وتذمر هؤلاء المتضررين.

خلاصة:

من خلال هذا العرض الخاص بظاهرة الشغب في المجتمع، يمكن القول أن الشغب هو الشروع في استخدام القوة وإشاعة الفوضى والتخريب والإخلال بالسلم والأمن العام، ويعد المرحلة الأخيرة من مراحل الاضطرابات، وغالبًا ما ينتج عنه خسائر في الأرواح والممتلكات. والأسباب المؤدية إليه عديدة ومختلفة من دولة إلى أخرى ومن مجتمع إلى أخر.

مع العلم أن المجتمع المعاصر المؤلف من أجناس شتى ومجموعات مختلفة من الناس، وما فيه من مصالح معقدة متضاربة، مفعم بالعوامل المختلفة التي تثير حوادث الشغب، وأن حكومات اليوم عادة ما تكون قلقة حول مقدرتها على استئصال هذه القنابل الزمنية الموقوتة استئصالًا تامًا لأسباب متعددة.. ولمكافحة هذه الحوادث والجرائم، والتي تشترك فيها الجماعات، والتي تؤدي إلى خراب البلاد يستلزم الأمر في المرحلة الأولى وضع وتنفيذ الخطوات المساعدة على استئصال التذمر ضد الحكومة من أماكنه، وتوفير المعلومات لتحديد مناطق التذمر المحتملة ضد الحكومة، وكذلك تحييد المنشقين أو الجماعات أو المنظمات التي تثير المشاكل، ولذلك ينبغي تشكيل قوة السيطرة على الشغب من الأفراد المتدربين تدريبًا عاليًا على العمليات التي تضمن قدرتهم على القيام بالسيطرة على الشغب في مراحله الأولى أو في حال تكراره.

المراجع

1. ابن منظور، جمال الدين مكرم. (د.ت). لسان العرب. (ج26). القاهرة: دار المعارف.
2. الخليوي، عبد الله محمد ناصر. (1429ه، 2008م). جريمة الشغب والعقاب عليها في النظامين السعودي والمصري: دراسة تأصيلية مقارنة. رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات العليا، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض.
3. الدهيمان، صالح متعب. (1430ه، 2009م). مدى مساهمة التأهيل المهني في الحد من العنف بين نزلاء السجون. رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات العليا، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض.
4. رميل، بن علي. (2011م). ظاهرة العنف والشغب في ملاعب كرة القدم: دراسة ميدانية بملاعب الغرب الجزائري.رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران، الجزائر.
5. الزهراني، سعد سعيد. (1421ه، 2000م). سيكولوجية العنف والشغب لدى الجماعات. في الغامدي، عبد العزيز بن صقر. (محرر). أمن الملاعب الرياضية. (ص ص 61-90). الرياض: أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية.
6. سويانج، بارك، وصن، ووجونق. (1411ه، 1991م). الشغب في كوريا. في مراد، فاروق عبد الرحمن. (محرر). دراسات حول قضايا الشغب وأسباب العنف. ط2. (ص ص 19-46). الرياض: المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب.
7. صادق، علاء، (2002م)، 8 أسباب تدفع الجماهير للعنف، مجلة المعرفة، العدد 79، ص ص 16-22، المملكة العربية السعودية.

8. الغامدي، إبراهيم سعد سعيد. (1429ه، 2008م). العوامل المؤدية إلى ارتكاب العنف بين النزلاء في إصلاحية الحائر بالرياض. رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات العليا، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض.
9. فرويد، س. (2006م). علم النفس الجماهير وتحليل الأنا، (ترجمة جورج طرابيشي). بيروت: دار الطليعة. (العمل الأصلي نشر في عام 1921م).
10. لوبون، غ. (1991م). سيكولوجية الجماهير، (ترجمة هاشم صالح). بيروت: دار الساقي. (العمل الأصلي نشر في عام 1895م).
11. المالكي، عبد الحفيظ عبد الله أحمد. (1421ه،2000م). تقويم مناهج كلية الملك فهد الأمنية الخاصة بمكافحة الشغب ودورها في تأهيل ضباط الأمن. رسالة ماجستير غير منشورة، معهد الدراسات العليا، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض.
12. مراد، فاروق عبد الرحمن. (محرر). (1411ه، 1991م). دراسات حول قضايا الشغب وأسباب العنف. ط2. الرياض: المركز العربي للدراسات الأمنيةوالتدريب.
13. المطيري، فلاح عبد الكريم. (1412ه، 1993م). تقييم الدورة التدريبية على أعمال مكافحة الشغب: دراسة ميدانية على منسوبي قوات الأمن الخاصة بمدينة الرياض. رسالة ماجستير غير منشورة، المعهد العالي للعلوم الأمنية، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض.
14. منيب، تهاني، وسليمان، عزة. (1428ه، 2007م). العنف لدى الشباب الجامعي. الرياض: جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية.
15. النفيعي، عواض سالم. (1423ه، 2003م). المواجهة الأمنية لأحداث الشغب في الملاعب الرياضية: دراسة مسحية على الملاعب الرئيسة بمدينة الرياض. رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات العليا، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض.